وقد يُرَدّ تعريقها فيُعطَف من تحتها كما ترى 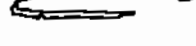

(62ه) واما «لام الف» فخارج من جملة حروف المعجم وصورها لانها حرفان مقرونان وقد ذكرنا ذلك في موضعه

٣ معرفة تقليب القلم في مجاله

اعلم انّ من الحروف والمدّات والتعريقات ما يُكتَب بوجه القلم ومنها ما يُكتَب بحَرْفه ومنها ما يكتب في عرضه ومنها ما يُكتَب بسنّه وقد رسم الكتّاب في كلّ ذلك رسماً يُعمَل عليه قالوا «اذا ابتُدِئ بالمدّة وجب ان يُدار القلم على سنّه مثل قطة الطآء والظآء واذا وُصلت المطّة بحرف قبلها كُتبت بوجه القلم مثل مدّة القآء المنفردة وردّة الياء» كما ترى

وللقلم في كلّ نوع من انواع الخطّ مجالٌ ليس لهُ في غيره وانا نمثّل صورة حروف المعجم في جدولين لنوعين من خطّ الكتّاب يُستدَلّ بهما على ما سواهما وموقع تحت كلّ حرف منها مجال القلم به لئلّا يطول الكتاب بما يخرجهُ من حدّ الهجاء الى غيره وموخّرًا استقصاء سائره الى ان اضمّنهُ كتاب تعليم الخطّ ان شاء الله (62و)

(اطلب جدول الخطّ الخفيف وجدول خطّ الامساك)

عيد جميع القديسين

نظر تاريخي طقسي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في غرّة هذا الشهر تحتفل الكنيسة الكاثوليكيّة بأحد اعيادها الكبيرة الثابتة

اعني به عيد جميع القديسين فتدعو سائر ابنائها الى ان يقيموا الافراح ويرفعوا من الارض اصوات التهاني الى مقام اخوتهم الظافرين باكاليل المجد بعد جهادهم في ميدان الحياة الفانية فيذكروا اعمالهم الصالحة ويأتسوا بامثالهم الحسنة ويستمدُّوهم لأن يشاطروهم يوماً افراحهم السرمدية . فأحببنا بهذه الفسحة ان نكتب في ذلك فصلاً موجزاً نضمّنهُ ما نعرف من تاريخ هذا العيد وخواصه الطقسيَّة وغايته الاجتماعيَّة

١ تاريخ عيد جميع القديسين

ورثت الكنيسة المقدَّسة إكرام اوليائها من ختنها الالهي ورُسلهِ الابرار . بل كان الله عزَّ وجلَّ سبق واوصى في اسفار العهد القديم إكرام الملائكة (خروج ٢٣ : ٢٠) وتمجيد اولياء إسرائيل ورجالهم الكرام (ابن سيراخ ف ٤٤ — ٥١) . فأيد السيِّد المسيح وتلامذتهُ هذا الاكرام باقوالهم ومثالهم . فانَّ الربَّ لذكرهِ المجد عظَّم في بشارتهِ الملائكة (متَّى ١٨ : ١٠) والانبياء (لوقا ٤ : ٢٥ — ٢٧) ولم ينكر على اليهود تشييدهم القبور لاكرام رفاتهم (متَّى ٢٣ : ٢٩) . واطرأ يوحنَّا المعمدانَ بعد وفاتهِ (يوحنَّا ٥ : ٣٣) وكرَّر غير مرَّة انَّ ما يؤديهِ الناس من الاكرام لذويهِ يؤدُّونه لشخصهِ الكريم (لوقا ١٠ : ١٦) وقد بالغ في رفع شأن الابرار الذين تمسَّوا وصاياهُ حتَّى دعاهم باخوتهِ واخواتهِ وامهِ (متَّى ١٢ : ٥٠)

واسرعت الكنيسة بعد صعودهِ تعالى الى السماء فأدَّت لاوَّل شهدائها القديس اسطفانوس اكراماً جزيلاً (اعمال ٨ : ٢) وعمَّ ذلك جميع الكنائس التي اقامت الاعياد منذ اوائل النصرانيَّة ذكرًا للشهداء كما تثبتهُ التواريخ القديمة واقوال الآباء وآثار النصرانيَّة في ديامس رومية وفي اماكن مختلفة . فكان المؤمنون في يوم تذكار استشهادهم يجتمعون عند قبورهم فيزينونها باكاليل الزهور وضروب الحليّ ويوقدون عندها الانوار ويقدّمون الذبيحة الطاهرة عليها ويستشفعون باوليائها . وكانوا يدعون ذلك اليوم « مولد الشهيد » (natale, natalitia) يريدون مولدهُ للسماء وكان تاريخ وفاته منقوشاً على صفيحة قبرهِ . وقد ذكر ذلك في القرن الثالث اوريجانس في ميمرهِ الثالث . وكذلك معاصره القديس قبريانوس في رسالتهِ الثانية عشرة يوصي المؤمنين بان يحفظوا تاريخ موت الشهداء ليحتفلوا به كلَّ سنة . ولدينا

عدَّة مواعظ القاها كبار الخطباء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس النزيانزي والقديس امبروسيوس في تلك المواسم اطراء لفضائلهم وشهاماتهم وربما اقاموا فوق قبورهم مشاهد او كنائس على اسمهم فمنها ما يرقى الى قرون النصرانيَّة الاولى وقد بقي من بعضها آثار صالحة الى اليوم. ولدينا في المخطوطات القديمة ادعية وتسابيح كانت تتلى يوم تذكارهم التماساً لشفاعتهم عند الله واستمداداً لبركاتهم لا يسعنا الَّا الاشارة اليها فقط

على انَّ عدد الشهداء بلغ بعد مدَّة الألوف المؤلفة. فلم تكفِ كلَّ ايام السنة لتذكار افرادهم فضلاً عن كون المسيحيين لم يعرفوهم كلَّهم. فسدًّا لهذا الخلل اتَّخذت الكنائس يوماً خصوصيًّا لذكرهم اجمالاً

واقدمُ ما ورد من ذلك في الكلندارات كلندارٌ للكنيسة الكلدانيَّة يرتقي الى السنة ٧٢٣ لليونان الموافقة للسنة ٤١١ للمسيح . وهو اقدم مخطوطات المتحف البريطاني بالحرف الاسطرنجيلي نشرهُ بالطبع العلَّامة رَيت (G. Wright) . فهناك يُذكر عيدٌ لجميع الشهداء يُحتفَل بهِ كلَّ سنة يوم الجمعة الواقعة بعد عيد الفصح . فقرَّرت ذلك الكنائس الكلدانيَّة والنسطوريَّة واضافت الى ذكر الشهداء غيرهم من القديسين المعترفين

امَّا الكنيسة اليونانيَّة فكلنداراتها القديمة تذكر عيد جميع الشهداء (ثمَّ دعتهُ بعد حين بعيد جميع القديسين) في يوم الاحد الواقع بعد عيد العنصرة وهي لا تزال على ذلك الى يومنا الحاضر وتُعلن بهِ بكلام مهيب يشعر بتعظيمها للعيد هكذا : « في هذا اليوم وهو الإحد بعد العنصرة نحتفل بعيد غاية في الجلال والبهاء اعني عيد جميع القديسين الذين وُجدوا في سائر العصور في آسية وافريقية واوروبَّة في الاقطار الشماليَّة والجنوبيَّة معاً والذين نشأوا في كلِّ العالم كزهور عطرة ومخلَّدة رواها الروح القدس بمياه نعمهِ الالهيَّة » . وفي هذا اليوم نفسهِ القى القديس يوحنا فم الذهب احدى عظاتهِ البليغة في الشهداء الذين ماتوا لاجل الايمان في جميع اقطار العالم (اطلب مجموع اعمالهِ ج ٢ ص ٧١١)

وكانت الكنيسة الارمنيَّة تحتفل قديماً بعيد جميع القديسين في يوم السبت الواقع بعد الاحد العاشر التابع لعيد ارتفاع الصليب . وكانت خصَّت الاثنين من ذلك

الاسبوع لذكر جميع الملائكة والثلثاء لذكر جميع الانبياء والخميس لذكر جميع الرسل فعيّنت السبت موسماً لجميع القديسين القدماء والمحدثين المعروفين والمجهولين .

واشبهت الكنائس الغربية كنائس الشرق في اكرامها لمواكب الشهداء والقديسين . ولعلّ الكنيسة الرومانية سبقت في ذلك جميع الكنائس فانّ القديس اوغسطينوس في رسالته الى ٥٤ يصرّح بأنها ورثت تلك العادة من تقليد الرسل . وقد جاء ذكر هذا العيد في كتاب الرسوم الرسولية (ف ٥ ع ١٨) . على انّ الكنائس الغربية اختلفت في تخصيص يوم العيد فكانت كلّ منها تعيّن له يوماً تراهُ اوفق لاحوال المؤمنين . فلمّا كان القرن السادس فكّر البابا القديس غريغوريوس الكبير في تشييد كنيسة عظيمة يقيمها لاكرام جميع الشهداء فرأى في رومية العظمى هيكلاً فخيماً كان بناهُ سنة ٢٧ ق م مرقس وسباسيانوس اغريبا (+ ١٢ ق م) عهر اوغسطس قيصر على اسم جميع الآلهة فدعاهُ لذلك باسم بنتيون (Panthéon) . وكان هذا الهيكل مهملاً منذ سقوط الوثنية وانكساف نورها وتلاشي آلهتها بسطوع شمس النصرانية . على انّ الموت عاجل القديس المذكور فقام بعدهُ خلفاً على تدبير الكرسي الرسولي بونيفاسيوس الرابع (٦٠٨–٦١٥) فاراد ان يحقّق بالفعل رغبة سلفه فاستمدّ ذلك الهيكل من فوقاس ملك الروم وعُني بترميمه واصلاحه وتطهيره من كل سمات الوثنية ثمّ دشّنهُ وكرّسهُ برونق عظيم للسيدة البتول سلطانة الشهداء ولجميع شهداء النصرانيّة في العالم باسره فعُرف مذ ذاك الحين بهيكل سيّدة الشهداء او بسيّدة الهيكل المستدير (N–D. de la Rotonde) لاستدارة قبّته الجميلة السامية العلوّ وامر الحبر الاعظم بتجديد العيد في كلّ سنة في ١٣ من شهر ايار . وكانت بعض الكنائس خصّت ذلك اليوم بالعيد المذكور . كما يشهد عليه القديس افرام في نشيده النصيبيني السادس الذي تغنّى به في السنة ٣٥٩ (١

وفي السنة ٧٣٢ اقام البابا غريغوريوس الثالث معبداً على اسم جميع القديسين في كنيسة مار بطرس الكاتدرائيّة فزادت بذلك غيرة المؤمنين في اكرام اولياء الله . وبقي الامر كذلك الى خلافة الحبر الاعظم غريغوريوس الرابع (٨٢٧ — ٨٤٤ م) فانهُ لمّا

١) اطلب هذه الاناشيد التي طبعها العلّامة ليكل G. Bickell : S. Ephraemi Carmina Nisibena .p. 23 et 89

رحل الى فرنسة سنة ٨٣٧ وبلغهُ اختلاف الكنائس فيها بخصوص هـذا العيد ابرز براءة امر بموجبها الكنائس اللاتينيَّة جمعـاء بان تخص اليوم الاوَّل من تشرين الثاني لاكرام سائر القديسين ساكني الجنان السرمديَّة . فبـلغ بامرهِ هذا العيد اوج الأَبهة وذروة الشرف وجعلت لهُ الكنيسة بيراموناً استعداداً لاحتفالهِ بالصوم والفرائض المقدَّسة . بل كانت بعض الكنائس تقدَّم عليهِ في القرون الوسطى ثلاثة ايَّام صوم تنويهاً بعظم شأنهِ . ثمَّ جرت الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة على منوال الكنيسة الرومانيَّة فتعيّد اليوم كلّها عيد جميع القديسين في غرَّة تشرين الثاني ما عدا الكنيسة اليونانيَّة التي ثبتت على كلندارها القديم

٢ طقسيات هذا العيد

انَّ رُتب الكنيسة في هذا النهار تُشعر كلّهـا بالفرح والسرور اذ تفتح لابنائها أَروقة السماء ليعاينوا في بيت الآب المنازل الجليلـة والعروش الملوكيَّة التي يجلس عليها اخوتهم فيتمتَّعون بالسعادة المخلَّدة . فكأَنَّ كنائس الغرب والشرق تتنـافس في تعظيم اصحاب العيد فتستخرج من كنوز الاسفار المقدَّسة ومن اقوال الآباء وتعاليم الملافنة ابلغ صفاتهم وأَكرم دُرر معانيهم لتصوغها تيجاناً تجعلهـا على مفرق اولئك الشهداء الذين غلبوا العالم وشهواته ولم ينخدعوا ببهرجتهِ وزخارفهِ الباطلة

واوَّل ما نجدهُ في هذه الفرائض الطقسيَّة انَّها تشمل كافَّة الابرار مباشرةً بربّ المجد عينهِ وثالوثهِ الاقدس ومتدرجةً بالتدريج من شخص السيّد المسيح الكريم الى والدتهِ سلطانة جميع القديسين الى ملائكتهِ على اختلاف طبقـاتهم ثمَّ الى انبيائهِ ثمَّ رُسلهِ فشهدائهِ ومعلّميهِ ومعترفيهِ الى ان تنتهي بالعذارى والارامل فلا يفوتها احد من اهل السماء المشاركين لابن الله في مجدهِ كما شاركوهُ في براءتهِ وحمل صليبهِ

وبياناً لذلك تتلو الكنيسة اللاتينيَّة في قدَّاسها فصـلاً من رؤيا يوحنَّا الحبيب (٧ : ٢ — ١٢) حيث أَوحى اليهِ الربّ عدد المختارين من اسباط بني اسرائيل ونظر معهم جمعاً كثيراً لا يحصى من كلّ أُمَّة وقبيلة وشعب ولسان واقفين امام عرش الله وبايديهم سعف النخل اشارة الى فوزهم بالظفر وكلّهم يسبّحون الله ويشكرونه على ما انعم بهِ عليهم

وكذلك في فرائض وصلوات ذلك النهار تتنقّل الكنيسة من طغمة الى طغمة ومن مقام الى آخر فتمجّد كلّ رتبة من مصافّ القديسين فبعد تكريرها صلاة التقديس المثلّث والسجود للاله المثلّث الاقانيم تعظّم الحمل المذبوح صارخةً انهُ مستحقٌّ ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوّة والكرامة والمجد والبركة (رؤيا ٥ : ١٢) ثم تهنّئ البتول امّ الله بما نالتهُ من الرفعة والشرف وتثني على طغمات الملائكة الذين انتصروا لله وقاموا في وجه ابليس وحزبهِ وتقرئ السلام على الآباء الاوّلين الذين آثروا خدمة الله على كرامة العالم. وعلى الانبياء الذين بلّغوا وحيهُ تعالى بكل امانةٍ وبسالة. وعلى الرسل الذين تركوا كلّ شيءٍ ليتبعوا المسيح. وعلى الشهداء الذين استعذبوا العذابات على مخالفة وصاياهُ عزَّ وجلّ. وعلى المعترفين الذين سلكوا مع ابن الله في الطريق الضيّقة طريق الفضائل السامية وكبح اهواء النفس الامّارة. وعلى العذارى اللواتي تشبّهنَ بالخمس الحكيمات موقداتٍ مصابيحهنَّ لقاء العروس الالهيّ. وعلى النساء الصالحات والارامل اللواتي جرين في العفاف وخوف الله وقداسة الزواج واحتقار ملاذّ العالم

ومن ميزة هذه الطقوس انّها كلّها تنطق باصوات التهليل والابتهاج فاذا وجّهتْ كلامها الى الاحياء حرّضتهم على الفرح مع الكنيسة الظافرة واذا فاوضت القديسين اتّسعت في وصف ما نالوهُ من الجزاء العظيم بعد محن هذه الحياة فتشفت دموعهم وانتبهت آلامهم وظفروا بحياةٍ ابديّة لا يستطيع عدوّ ان يكدّر هناءها. وهي تتلو لهم انجيل التطويبات الثاني لتصرّح لهم انَّ الربّ لم يحنث بمواعيده وانهُ كما وعد اجلسهم معهُ على عرشه ومنحهم مئة الضعف بدلاً ممّا صنعوا لخدمته

وهناك من التسابيح والاناشيد التي تأخذ بمجامع القلب وكنّا نودّ لولا ضيق المكان أن ندوّن منها شيئاً ننقله عن فروض كلّ الطوائف فتظهر بها عواطف الكنيسة في كلّ مجاليها فنحضّ المسيحيين على تسريح النظر فيها والهذيذ بمعانيها الخشوعيّة

٣ فوائد هذا العيد الاجتماعيّة

لعيد جميع القديسين فوائد جمّة يمكن المسيحيين اجتناؤها فيحصل منها للهيئة

الاجتماعية رقيّ وصلاح . واوّل ما يُستفاد من هذا العيد انّ الانسان يحيي ايمانهُ ويبعث رجاءهُ اذ يعدل نظرهُ عن الارضيّات الزائلة حيث ليس لهُ في هذه الدنيا « مدينة باقية » (عبر ١٣ : ١٤) ولأنّ « هيئة هذا العالم في زوال » (١ كور ٧ : ٣١) فلا يركن الى هذه دار الفناء بل يصرف قلبهُ الى دار البقاء التي سبقهُ اليها الوفُ الألوف من بني جلدتهِ فينعش بذلك قواهُ ويشدّد نفسهُ صبرًا على آفات هذه الحياة واملًا بحياة اخرى ثابتة سعيدة

وللعيد فائدة ثانية وهي تشديد روابط الحبّ بيننا وبين الذين رحلوا قبلنا الى دار الابديّة الصالحة فانّ هؤلاء كلهم من جنسنا ومن اخواننا كلهم فروع دوحة واحدة وابناء والد واحد وبينهم من سَبَقناهم برحم وجرت دماؤهم في عروقنا ولعلّ الموت أنساناً ذكرهم فالكنيسة امّنا تجدّد في هذا العيد ذكرهم في قلوبنا وتعلن لنا بلسان حالها انّهم ليسوا بموتى بل احياء عند الله ولديهِ سيلتئم شملنا فيحصل معهم اجتماع ليس من بعدهِ فراق

ومن فوائد هذا العيد المبارك انّنا باكرامنا اصحابهُ نجد في سيرتهم من الاعمال المبرورة والفضائل السامية ما يحملنا على اقتفاء آثارهم كيف لا وكلهم من اهل الصلاح اذ لا يدخل السماء غير النفوس الطاهرة وارباب الفضل والبرّ . ولمّا كان الانسان مطبوعاً على الاقتداء بما يراهُ في امثالهِ من الخير او الشرّ يدفعهُ مثل الصالحين الى ان يحذو حذوهم ويتشبّه بهم ويستسهل السير في طريق القداسة اذ يرى من كانوا مثلهُ قد نهجوهُ وامّوا عترتهُ

ومن اخصّ فوائد عيد جميع القديسين انهُ يكشف للمرء شيئاً من نعيم السماء فيسأم على الفور من ملذّات هذه الحياة . ويهتف مكرّرًا قول القديس اغناطيوس دي لويولا : « كم تذلّ الارض في عيني حين أبصر الى السماء » . اجل انّ ذوي البصيرة يعدّون الحياة الحاضرة كزبلٍ في جانب ما ينتظرهم من مباهج الابديّة وبالنسبة الى « ما اعدّهُ الله لمن يحبّونهُ وذلك ما لم ترَهُ عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر » (١ كور ٢ : ٨) بل « يشتاقون الى الله اشتياق الأيل الى ينابيع المياه » (مز ٤٢ : ٢) ويطلبون مع الرسول (فيليبي ١ : ٢٣) « ان ينحلّوا من قيود الجسد ليكونوا مع المسيح » ويودّون مع داود النبي (٥٤ : ٧) لو يحصلوا على اجنحة كالحمامة

ليطيروا الى ربهم ويستريحوا في جواره مع من سبقوهم الى دار النعيم او بالحري يتحولوا معهم الى شبهه تعالى في المجد » (٢ كور ٣ : ١٨) فكيف لا يستفزُّ العاقلَ هذا المنظرُ الجليل ليسعى وراء سعادته او كيف يدع شواغل هذه الحياة تلهيه عن الامر الوحيد الذي يستحقُّ اعتبارهُ ويستدعي همَّتهُ فيصرخ من صميم الفؤاد الى اولئك الذين بلغوا الى مينا الخلاص راغباً اليهم بان يشفعوا به عند الله ويؤيدوهُ بنعمته تعالى لينجو من اخطار هذا العالم الشرير ويحظى معهم بالافراح السرمديَّة

تلك هي بعض التعاليم التي يستفيدها المؤمنون من هذا العيد المبارك فساها تنطبع في قلوبهم وتدفعهم الى تضحية كل نفس ونفيس رجاء الحصول على ما تضمنهُ لهم من الخيرات الدائمة

مَعَابِرُ القِطارات

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

المِعبَر في اللغة ما يُعبَر بهِ النهر من قنطرة او سفينة ونعني بهِ هنا السفينة التي تحمل قِطارات السكك الحديديَّة فتعبرُ بها ليس انهاراً فقط بل يُجتَزات واسعة وخلجاناً وبواغيز مختلفة فتنقلها من ضفَّةٍ الى أخرى ومن برّ الى آخر. وهي التي دعاها الانكليز فِرِّيبُوت (Ferry-boat) اي سفينة العُبور فدرج اسمها عند الفرنسويين وغيرهم . ولا يزعمنَّ القارئ ان هذه اضغاث احلام او امور يُتوقَّع تحقيقها في المستقبل لا بل دخلت منذ سنين عديدة في حيّز الوجود وادَّت في الخفاء شيئاً من اوربَّة ولا سيَّما اميركة خدماً مشكورة ضمنت لها انتشاراً واسعاً في الازمنة المقبلة

يروى عن الملك لويس الرابع عشر انهُ لمَّا سار حفيدهُ سنة ١٧٠٠ الى اسبانية ليملك عليها صرخ قائلاً : « قد زالت جبال بيرينه بين فرنسة واسبانية » مشيراً بقولهِ الى سهولة المواصلات بين الدولتين وارتباطهما في المستقبل

فنحن ابناء الجيل العشرين يسوغ لنا ان نهتف قائلين : « زالت البحور » او قلما يكون « زالت بعض البحور » . فكما ان المهندسين بجذقهم توصلوا منذ وسط